العدد (1976) السنة الثامنة - الأربعاء (1) كانون الأول 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

على هامش الصراحة

النسبية

إحسان شمران الياسري

كل شيء في الكون نسبي إلى شيء آخـر.. وأولـه الحـب، ثم تـأتي بقية الأشياء.. فأنا أحبك، فيما لا يُحبك آخر، وترى أم أولادك هي الأجمل، فيما يقول آخرون (أعانك الله عليها)، وكم من قصة حب أذهلت الناس لوجود التباين بين رؤاهم ورؤية المحُب لحبيبه.

وبعد الحـب، أشـياء أخـرى.. مثلاً الأهـميـة.. وهنـاك مصطلح اسمه (الأهمية النسبية)، فما هو مهم عندك، لا يُعتبر مهماً عند غيرك.. ومن أجل هذا، عليك ألاّ تستهين بما يُشغل الناس أو يستحوذ على اهتمامهم.. وكلما آمنت بمفهوم الأهمية النسبية، فأنا أضمن لك فهماً أكثر لأبناء جلدتك، وشيوع ثقافة التسامح في نفسك، والكثير من الرضا عن أدائـك عملك ولعلاقاتك بالناس.. ما الـذي يُشغل بالـك، ثم لا يُشغل بال الناس.. أو العكس، هو ذلك الحيز الذي تهتم به، وما إذا كان الناس يهتمون به أو بشيء آخر. وأي شخص يملك أو يحوز سلطة يجب أن يكون بارعاً في تقدير الأهـمية، والأهـمية النسبية.. والسلطة تبدأ من قدرتي على التحكم بالقلم الذي أكتب به، ولا تنتهي حيث تكون سلطة رئيس الدولة.. والرقيب هو الذي ينشغل بالقضايا طبقاً لمفهوم الأهمية النسبية.. فمن غير المعقول أن يهتم رئيس هيئة الرقابة في البلاد (أياً كان اسمها) بملف موظف اشترى سلعة لدائرته بثمن يزيد بنسبة (٢٠٪) على الأسعار السائدة في السوق، ثم يتبين إن سعر السلعة هو (١٠٠) ألف دينار، بذات المستوى من الاهتمام بملف موظف أهدر (٥٠٠) مليون دينار.. أكيد إن مستوى رئيس هيئة الرقابة هو محل اعتبار في موضوع الأهمية النسبية. إذ ما يجب أن ينشغل به هو القضايا الخطيرة ذات الآثار الخطيرة على الدولة ومستقبلها.. وينطبق هذا على الرقيب من هيئة الرقابة الذي يجب ان يميز هو الآخر في موضوع الأهمية النسبية.

وحتى ذنوب أولادنا ومعاصيهم يجب أن تخضع للأهمية النسبية في سلوكنا تجاهها.. فنعاقب ونُثيب بمقدار الذنوب والإنجازات دون أن نُغالي..

وأفضلنا هو الذي يُحسن تقدير هذه الأهمية ويُقدّر آثارها ومنافعها ومضارها.

ihsanshamran@yahoo.com

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

هنا سنبقى .. والى الأبد

رياض النعماني

وبكل ما أُتيت من بسالة وطاقة على استنفار ما تختزنه من قدرة وشراسة في مقارعة عدو يفاجئك كل مرة بمعنى ومبنى جديدين مختلفين .. عدو لا يقف عند حدود تعبير أو شكل واحد إنما تجده دائم الدخول في نهر من ظلام تحولات لا تنتهي .

أنت تحاول . بيأس من اختار صرح الخسارة الأخير. الاحتماء بما تبقى لديك من زمن وحطام كي تواجه هجمات تتدفق عليك بأمواج عاتية من رعب، ونُذر ومخاوف صُراخ ، واختناقات وعتمة تقصيك عن رؤية جسدك وروحك ، وعواصف مأس تضيق في مداراتها فسحة ألأمل ، بل فسحة الهواء الذي تتنفس حتى أن النظرة التي تصوبها الى ما حولك تصطدم بجدار الهواء فترتد إليك .

دوامات ومدارات من كل هذا الجنون واللامعقول ... من كل هذا التدهور والعجز الذي يجردك من آخر أدوات الدفاع عن عناصر الحياة فيك ، وفي كل ما يمثله انتماءك للواقع والألفة والدفء والتكافل والمحبة من معنى هو ميزة حياة وحرارة الشرق الذي تحول في أعماقك الى غريزة تشدّك بقوة تنسيك جميع تلك السنوات التي كنت تتعذب وتموت فيها .. سنوات كانت قد أعدت بيقظة تامة وخبرة ومهارة وكفاية لا تتكرر حتى تكون هذه السنوات لا كما كنا نريدها أن تكون بل كما أرادوا لها أن تكون.. خراب.. فساد.. حطام، تآكل ، ضياع ، انعدام امكانات الفكر الحر في ظل سيادة عنف ديني يحرمك من أبسط حقوقك كأنسان وهي حرية الاختلاف، والرؤية المستقلة والانتماء الخاص.

أنت الآن في امتحان عسير لمعنى وجودك الأول، وموقفك الأخلاقي من نفسك ومن العصر الذي تحياه .

جارك المسيحي يُقتل دونما سبب .. تحاول أن تجد مبرراً لذلك .

تحاول أن تفرغ نفسك من كل ما فيها حتى تصبح كتلة من هشاشة طاغية ... عدوك الأول اليوم بصيرتك التي تريد النفاذ الى قلب الأشياء متخطية ظاهر هذا الظلام الى أعماق ظلام آخر أشدّ فتكاً ، وهولاً أعدّ لمستقبل هذه البلاد .

كأن كل حقدهم ذاك بكل ما أحدثه من موت ومآس وحروب ودماء لم يكف لإشباع حقدهم على بلاد جريرتها وجريمتها الكبرى إنها اقترفت ذات يوم فكرة الحرية والحلم ، وأنها بنت لأرض الحكمة الأولى . بابل العظيمة.

. الى الأبد لن ننسى ما فعلته بابل ، وعليها أن تدفع حصتها من الدمار حتى النهاية .

ذلك هو القسم الأكبر الذي يردده أولئك الذين قرروا أن يكون الدرس مريراً ، وكأس السم خالصة، فكانت المذبحة التي لم تتوقف حتى اليوم ومنذ عام ١٩٦٣،

عام الانقلاب الرهيب .

جارك وصاحب هذه الأرض الأول يُقتل دونما سبب.. يُقتل لأنه مسالم وشريف ونقي وطاهر ووطني مخلص.. يُقتل لا لشيء إلا ليكتمل مشروع تدمير العراق وإفراغه من ميزته الأصلية وهي تعددية أديانه وقومياته وأعراقه التي هي منبع حيويته وإبداعه الذي غيّر العالم .

المخطط لهذا المشروع اللا إنساني ، واللا أخلاقي الشرير لا يتوقف عن تنفيذ خطواته وفقراته حصار المسيحيين في الحياة السياسية والعامة.. إيصال هذا الحصار الى مدارسهم ومؤسساتهم ثم قتلهم في الشارع وأمام بيوتهم.. ليتسع بعد ذلك مدار هذا الموت الخاص الى الموت العام... تفجير كنائس، ثم قتل الناس فيها ، ثم تُفخخ السيارات وأبواب البيوت بعبوات لاصقة تنفجر عند الخروج.

ولا يكتفي القاتل بقتله هذا ، بل يندفع جماعات جماعات لذبح ما تبقى من هذه الشريحة. من أبناء البلاد الأصليين. في بيوتهم ، وفي غرف نومهم .

ماذا يفعل رجل مسنّ وامرأة عجوز تتضوع طيبة ونقاوة وضوءاً يسوعياً طاهراً وهما يجلسان وحيدين أمام الأيقونة على ضوء شموع العذراء.. بين روائح ودعة كتب مقدسة تفيض ضوعاً ونعمة وحكمة وقداسة

ماذا يفعلان وهما وحيدان يواجهان هذا الرعب، غير أن يستسلما الى ذرى يأس يقذف بهما الى هاوية أعدت لتكون قبراً مفتوحاً في ظلام الأبد.

ماذا يُريد هذا القاتل ، وأي شيء يرمي من وراء قتله هذا؟

هل هي القاعدة وحدها من يرتكب هذه المجازر الشنيعة؟

هل هو العنف الديني ليس إلاّ؟

أم أن قوة أخرى كارثية مهيمنة ، مزودة بسحر يشل أجهزة نقاط التفتيش . المزودة بأدوات لا تعمل . فتعبر الى أهدافها الكبرى والصغرى لتفجرها في وضح النهار ، أو في ليل لا يحتاج الى أجهزة الكهرباء المنقطعة ١

بكلام نصفه دمع ونصفه الآخر حروف صامتة .رجاءً لا تخبر أحداً بأننا من المسيحيين .

يهمس لك جارك الطيب ، ثم ينسل الى بيته بخوف أحنى روحه قبل قامته .... عائلته تقوم بإسدال ستائر الغرف وتلتمّ على بعضها بخوف يجرح ضمير الحجر .

ماذا يريد القاتل من هؤلاء المسالمين والأتقياء؟

هل هذا هو ثمن طيبة وصدق قلوبهم ونقائهم؟

هل هذا ما كانوا يأملونه ونأمله من عملية التغيير التي طال انتظارها ثلاثة عقود ونيّفاً مليئة بالدماء والدموع والأهوال ؟ أيُّ ألم هذا ..إلهي أي ألم ؟ أي بلاد هذه التي لم تقدم لأبنائها حتى ظلاماً آمناً ، وعطشاً محايداً ؟ هل هذه بلاد أم لعنة ؟ ما نوع القدر الذي يسوس مقاديرها ... والمسؤول عنها هل يظل مسؤولاً وطنياً عندما يتخلى عن مهمته في حماية مواطنيه ؟

أيُّ دين وأية شريعة بل أي عدالة ترضى بهذا العذاب الجهنمي وهذه الفاجعة التي تحصل اليوم؟

هل شهوة السلطة . بما تمتلكه من وجاهة ومال ومغريات . تستعبد صاحبها الى الدرجة التي تنسيه أولى واجباته الإنسانية إزاء الناس وخاصة الفقراء منهم ؟

إن ذلك موجع الى أبعد حدود الوجع والخيبة .

في هذا الذي لا يُلتقط أو يقال تغيب عن نفسك وتصحو لتغيب فتصحو ثانية ...أين الأصدقاء ؟ أين الأهل وأين الأيام ؟ أين يمكنك الحصول على الأمان ؟ أين يمكنك النوم دونما رعب ؟ أين تسير وأين تنتظر والى أين تذهب ؟ أين.. أين، بل أين الأين ؟

أين العدالة في كل هذا الذي يجري ؟

أليس الواجب أن تتيقظ الناس الى مسؤولياتها الأخلاقية، فتتحد لمواجهة القطعان الوحشية هذه دفاعاً عن الفضيلة التي تميّزهم كبشر والتي تفرض عليهم واجب القتال دفاعا عن قيم الأخوة والكرامة والمحبة التي تربطهم بإخوانهم من أبناء وطنهم الواحد . سيما وأن قوى الاحتلال والسلطات المحلية قد تخلتا عن الحماية وهي مسؤوليتهم القانونية والأخلاقية والشرعية ٢

يعجنك الألم الساحق ويحيلك الى فتات هشة وبقايا أشياء مبعثرة .. لكنك ما زلت حياً وتريد الخلاص رغم كل هذه المقبرة الممتدة من أعالي الفرات حتى شواطىء شط العرب .. فتقرر الخروج بما يشبه الصرخة والمغامرة .. والخروج الى أين؟

الى حيث روح البلاد ما تزال تتأجج، وكرامتها تواصل صعودها الى أعلى وأعلى، الى علو تتطلع إليه مفردات نصب الحرية.. الى النقطة التي أطلّ فيها جواد سليم العظيم من روح وشمس أجداده الأوائل الذين بنوا مجد حضارات وادي الرافدين.

هناك عند عتبة النصب الذي هو عراقك وبيتك المطمئن وقبلتك الطاهرة وراحة قلبك المعذب وفكرك وحريتك ووجودك الحق ، .. هناك تجد كيانك برمته يرتعش ويتلألأ بالدمع والضوع وهو يردد عبارته الأنقى والأبهى

.ليس الى سواك أذهب، ولا أبكي عند عتبة غيرك،لا تتخلى عنا نحن الجموع المحبة، واجعلنا من أبناء الزمان الوضاء الذي أسسته وتصر على بقائه حيّاً والى الأبد ، أبعث فينا ما يثبّتنا على الحق الذي أوجدك ، والضوء الذي كونك، والحرية التي كانت في أصل كيانك الأعظم، ولا تتركنا كائنات معزولة ليس لها إلا الألم والهباء وجهات الخراب العميم.. لتبق محروسا بالسوسن والشموع واليمام ورجاء الأفئدة والفجر البعيد.. والى أن يحين الخلاص وتهبط النعمى نحن نلوذ بك و بحماك، إننا نجد كرامتنا في تطلعك المذهل الى الأعالي، والى الأنعتاق الجميل.. في وثبتك الأسطورية لتجاوز الحد واختراقه نحيا زمن حريتنا الفريدة الخاصة.. أنت وحدك من يشهد على قوة اندفاع روحنا التي لا تموت .

لنا ما لنا من طاقة الإيمان الخارقة بك ، وبقدرتك الهائلة على الحياة ، والتطلع الى ما وراء النهر لعبور المحنة. لك التوجه والوجهة والاتجاه.. فأنت ملاذنا وأبواب بيوتنا ولغتنا وكرامتنا وأمننا وخبزنا وأملنا ومستقبلنا وأخوتنا التي هي المطر الذي يُحيينا، وهي أساس وحدتنا ووجودنا الذي يتجاوز بنا عوامل الموت الى جوهر البقاء والتجدد والنمو.

في حضرتك المجدة لنا ما لنا من غناء يدوم ويدوم

لك المجد والعلو والنور والأزرق السماوي الذي يصغي مرتعشاً لهيبة صمتك المعظم وهديل يمامك الذي يبتكر لنا شجناً يُوقفنا في مقام الندى والعفة والعزة ، ونجد فيه لحظة الأمان والطريق الجميل الى البيت والطمأنينة التي تفتح لنا أبواب الحلم الذي لا يموت.

وكي نبقى كما كنا. وقبل أن يأتي الوحوش ليلوثوا طهارة هذه الأرض نعلو أمام شموعك الطاهرة

كلنا نحن مندائيون.. مسيحيون.. مسلمون .. إيزيديون.. شبك.. عرب، كرد، تركمان،.. وكل ما تحتضنه هذه الأرض المقدسة، أرض السومريين والبابليين والآشوريين.

كلنا كلٌ واحد.. هنا سنبقى والى الأبد، نحيا بالحب وللحب ومع الحب

١..لا يعاني سكان الصين والهند الذين تجاوز عددهم في كل بلد المليار والنصف مليار نسمة أزمات الكهرباء والزراعة .

٢.. سرّب بعض الرجال الأمنيين معلومة تفيد بأن قسماً كبيراً من حوادث الاعتداء والقتل كان وراءها تجار عقارات ودلالون وعصابات اغتنت من عمليات السطو والسرقة والتهديد والاختطاف كي يضطر هؤلاء الناس الى بيع بيوتهم وممتلكاتهم بأسعار متدنية.. إنها احدى النتائج الكارثية لتخلي قوى الاحتلال والحكومة العراقية عن مسؤوليتهما في حماية المواطنين وممتلكاتهم .

مجلس شعب .. باطل

حسين عبدالرازق

في تحد سافر للقانون وأحكام المحكمة الدستورية العليا لجأت حكومة الحزب الوطني للاستشكال في تنفيذ أحكام محكمة القضاء الإداري والمحكمة الإدارية العليا بإعادة قيد عدد من المرشحين لمجلس الشعب تم استبعادهم بالمخالفة للقانون، وللاستشكال في تنفيذ حكم المحكمة الإدارية العليا بإلغاء الانتخابات في ٢٤ دائرة، منها دوائر الإسكندرية جميعا لعدم قيد المرشحين المستبعدين الذين حصلوا على أحكام من القضاء الإداري بقيدهم ضمن المرشحين لانتخابات مجلس الشعب التي تمت جولتها الأولى الأحد الماضي.

والإشكال في التنفيذ منصوص عليه في المادة "٥٢٤" من الباب السابع من قانون الإجراءات الجنائية، والتي تقول (كالإشكال من المحكوم عليه في التنفيذ يرفع إلى محكمة الجنايات إذا كان الحكم صادرا منها وإلى محكمة الجنح المستأنفة، فيما عدا ذلك، وينعقد الاختصاص في الحالين للمحكمة التي تختص محليا بنظر الدعوى المستشكل في تنفيذ الحكم الصادر فيها). ويترتب على تقديم الاستشكال وقف تنفيذ الحكم مؤقتاً لحين النظر في الموضوع وإصدار الحكم.

ويعلم رجال القانون سواء كانوا قضاة أو أعضاء في النيابة العامة أو محامين أو حتى طلاب في كليات الحقوق، أن هذا النص يتعلق بأحكام القضاء المدني العادي ولا علاقة له بأحكام القضاء الإداري (قضاء مجلس الدولة) المختص بالنزاع بين الأفراد والسلطة التنفيذية، فالقضاء الإداري لا يعرف الاستشكال في التنفيذ، وأحكامه يطعن عليها أمام القضاء الإداري وحده.

ومع ذلك فقد دأبت الحكومة إلى الاستشكال أمام القضاء العادي في أحكام القضاء الإداري بهدف وقف التنفيذ، رغم علمها بأن هذا الإجراء باطل قانوناً وأن القضاء العادي سيصدر حكمه برفض الاستشكال عند نظر الموضوع لعدم اختصاصه، وهو ما حدث عشرات المرات إن لم يكن مئات المرات، ولكن الهدف من هذا الإجراء الباطل قانونا هو وقف التنفيذ لحين قيام الحكومة بتنفيذ القرار المطلوب، وحين يصدر الحكم برفض الاستشكال في التنفيذ يكون القرار قد أصبح واقعا وفات أوان تصحيحه.

وإذا كان الأمر يحتمل الجدل في الماضي، فقد حسمت أحكام القضاء هذا الجدل بصورة نهائية وواضحة، عندما عرض على المحكمة الدستورية العليا تناقض الأحكام في موضوع الاستشكال في تنفيذ أحكام القضاء الإداري أمام القضاء المدني، وأصدرت حكمها عام ٢٠٠١ ، وأرست المحكمة الدستورية العليا مبدأ واضحا بتأكيدها عدم الاعتداد بالاستشكالات التي تقيمها الحكومة أمام القضاء المدني غير المختص ومحاكم الأمور المستعجلة لوقف تنفيذ أحكام محكمة القضاء الإداري أو المحكمة الإدارية العليا، وأن هذه الاستشكالات عديمة الأثر القانوني لإقامتها أمام قضاء غير مختص (وهي والعدم سواء).

وفي حكم للمحكمة الإدارية العليا برئاسة المستشار محمد عبد الغني رئيس مجلس الدولة، الخاص بإلغاء وجود الحرس الجامعي داخل الجامعات، أفردت المحكمة في حيثياتها صفحة كاملة لانتقاد وإدانة الحكومة (لتعمدها إقامة إشكالات لوقف تنفيذ أحكام القضاء الإداري في محاكم مدنية غير مختصة، حيث صدر حكم من محكمة القاهرة للأمور المستعجلة بعابدين بوقف حكم أول بإلغاء الحرس الجامعي.. وهذا الحكم معدوم ولا يترتب عليه أي أثر قانوني، ولا يشفع للجهة الحكومية الممتنعة عن تنفيذ الحكم إقامة إشكال أمام محكمة غير مختصة وفقاً لما استقرت عليه أحكام المحكمة الدستورية العليا.. إن محاكم مجلس الدولة وحدها هي المختصة بوقف الأحكام الصادرة منها، ولا يوجد عذر للجهل بهذا المبدأ سواء من هيئة قضايا الدولة (محامي الحكومة) باعتبارها هيئة قضائية تسهم في سير العدالة، وكذلك المحاكم غير المختصة بنظر هذه الإشكالات وتصدر فيها أحكام، حتى لا يكون الانعدام مصيراً لأحكامها المخالفة للدستور والقانون.

وأكدت المحكمة الإدارية العليا يوم الخميس الماضي برئاسة المستشار مجدي العجاتي نائب رئيس مجلس الدولة نفس المعنى عندما أصدرت حكمها بتنفيذ جميع الأحكام الصادرة من المحكمة خلال الأسبوع السابق بإلزام اللجنة العليا للانتخابات بقبول أوراق بعض المرشحين لانتخابات مجلس الشعب والتي لم يتم تنفيذها واستشكلت عليها الجهات الإدارية أمام محاكم غير مختصة.

وللأسف لم تلتفت الحكومة ولجنتها الإدارية المسماة (اللجنة العليا للانتخابات) إلى أحكام القضاء ومبادئ الدستور والقانون، وأصرت على موقفها الذي يوصم مجلس الشعب القادم – وقبل أن يوجد – بالتزوير والبطلان.

الوعي الزائف ونقيضه

فريدة النقاش

أسفرت الانتخابات التشريعية الأخيرة في مصر من ضمن ما أسفرت عنه في جولتها الأولى، عن وعي مشوّه لدي قطاعات واسعة من جمهور الناخبين يشوب نظرته للسياسة التي اختزلها هذا الوعي في مجموعة من الخدمات والمصالح المحلية أو الشخصية الصغيرة.. ولم ينظر هذا الوعي لأفق أوسع هو منظومة السياسات العامة التي ينتهجها الحكم من حيث فلسفتها ورؤاها ومنطلقاتها.

ويتطوع بعض المحللين والصحفيين باتهام الشعب المصري بالباحث عن مصلحته قصيرة النظر والمحدودة، كما أن توجّهاً مصلحياً نفعياً بل وانتهازياً مباشراً يقود خطوات المصريين كما يقال في عالم السياسة متغاضيا عن الأهداف العامة التي تمس جوهر المنطلقات والاختيارات السياسية.

كذلك سارع بعض المحللين إلى توجيه الاتهام للأحزاب السياسية والحركة الديمقراطية المعارضة بأنها فشلت في أن تنشر وعياً مغايراً في أوساط الجماهير لترى أبعد من المصالح الصغيرة، بل وتضع هذه المصالح الصغيرة نفسها في إطار أوسع وأشمل هو إطار الخيارات العامة لنظام حكم طبقي تسلطي منحاز للأقلية الغنية المتمكنة على حساب الأغلبية من المنتجين والكادحين.

ويتجاهل هؤلاء جميعا أن تفوتهم حقيقة النظام القائم الذي هو خليط من الليبرالية الاقتصادية والاستبداد السياسي، أو الشمولية السياسية بالأحرى التي يندمج فيها الحزب الحاكم بالدولة، وتسيطر الأخيرة على بعض أهم أدوات التنشئة وبناء الوعي من الإعلام للمدرسة إلى المؤسسة الدينية الإسلامية والمسيحية، وتتفاعل هذه المؤسسات في ما بينها لتنتج الوعي السائد وتشكل آليات الثقافة السائدة وتوجهاتها، أي أن نظام الحكم هو المسؤول الأول عن نشر هذا الوعي دون أن نقلل من مسؤولية الأحزاب والقوى الديمقراطية..

ومع بدء سياسة الانفتاح الاقتصادي التي كان من ضمن حصادها ولادة الروح النفعية الاستهلاكية التجارية، ورواج شعار انتهازي يقول (اللي تكسب به إلعب به) بصرف النظر عن وسائل الكسب واللعب، ساد المفهوم الطبقي للسياسة التي يقال إنها فن الممكن، والممكن هو آني وقريب المنال ومنفصل كلية عن الممكنات الأخرى في الواقع وعن الأهداف البعيدة عن شأن التحرر وتصفية الاستغلال وإعادة بناء العلاقات الاجتماعية على أساس من الكرامة والمساواة والعدالة، وعندما يسود هذا المفهوم فإن القطاع الغالب من الجمهور ينظر تحت قدميه، ويعيد الوعي السائد إنتاج نفسه، وتتآكل الروح الجماعية وتقاليد العمل المشترك، وتسود النزعة الفردية والحل الشخصي في ظل غياب أي بديل مع زيادة الفقر والبطالة واليأس العميق.

ومن جهته يقوم النظام الشمولي مضموناً والتعددي شكلاً بحصار الوعي الجديد ومؤسساته، هذا الوعي الذي تخلقه نضالات القوى الديمقراطية من أحزاب ونقابات ومنظمات مجتمع مدني، ويبدو عمل هؤلاء جميعا كأنه حرث في البحر، خاصة أن الجمهور الواسع يرى جيداً كيف أن الواقع البائس يعيد إنتاج نفسه ولا شيء يتغير، والأهداف البعيدة لا تقترب، فيختار بشكل عملي أن يركز على الأهداف القريبة جدا والشخصية جداً وتتكرس الفردية والأنانية، وتبرز مجدداً في ظل مجتمع دخل إلي الحداثة ولو ببطء كل الهويات ما قبل الحديثة من الانتماءات الأولية للأسرة، للقبيلة، للعشيرة للمنطقة التي تصبح جميعها ملاذاً في ظل ركود المجتمع الكبير بل وتحلله، وفي ظل الخوف العميق الذي تخلقه حالة الطوارئ الدائمة وعنف الدولة البوليسية المكتوم والمعلن.

للوعي المشوّه إذن أسباب عميقة في الاختيارات السياسية لنظام الحكم الذي أطلق وحش الرأسمالية الطفيلية المنفلتة، وصادر قدرة الجماهير العاملة على مقاومتها وبالتالي قدرتها على خلق وعي جديد ضد السائد وخلق هذا الوعي الجديد في ظل الكفاح اليومي لهذه الجماهير وهي (تعافر) من أجل تحسين حياتها وتتسع المسافة في كفاحها هذا ما بين النضال الاقتصادي والعمل السياسي.. سوف يحتاج هذا كله وقتا طويلا جداً لقطع هذه المسافة بين ميداني الكفاح لا فحسب بسبب أشكال القيود والحصار، وإنما أيضا بسبب هذا الوعي المشوه الذي تتفاعل عوامل كثيرة جداً لإنتاجه لتكون الجماهير العاملة هي الضحايا الأولى لانتشاره وتجذره ويكون علينا نحن الكتاب وأصحاب الرؤى التقدمية ودعاة الأمل في المستقبل أن نظل لمدى طويل نكتب عن (الوعي الجنيني) الجديد ولكن الشيء المؤكد أن هذا الوعي الجديد ينضج على مهل وإن في ظروف صعبة.

الترجمة ساحة للوعي الفكري في عصر العولمة

مثنى كاظم صادق

كان مفهوم الترجمة في العقود الماضية هو معرفة لغة أخرى غير اللغة الأم ، بيد أن الترجمة ليست مجرد النقل من لغة إلى أخرى فحسب ، بل العلم باللغة المنقولة والناقلة على حد سواء تقريبا. ومن هنا برز في العراق أعلام من المترجمين المعتمد على دقة وأمانة ترجماتهم كالدكتور صفاء خلوصي وجبرا إبراهيم جبرا وعبد الواحد لؤلؤة وغيرهم من مترجمي اللغة الإنكليزية واللغات الأخرى ممن سار على خطاهم وتمثل بنهجهم .

ويمكن أن يضفي النص المترجم إبداعاً على إبداع لغته الأصلية (الأم) المنقول منها تبعا لأسلوب المترجم وصياغته اللغوية ، فقد تشتهر نصوص مترجمة أكثر مما اشتهرت به عندما كانت مكتوبة بلغتها الأصلية ولاشك في أن للمترجم الدور الفاعل في هذا النجاح ، فكثير من المترجمين يعتمدون النقل المعنوي لا الحرفي كي يتلاءم النص مع المحيط الجديد ، الذي سيقرأه ؛ ولذلك قيل في المثل (المترجم خائن) وعلى الرغم من قسوة هذا المثل إلا أن فيه وجهة نظر ؛ ذلك لأن الترجمة هي إعادة بناء للنص الذي كتب بلغته الأصلية ، فقلما يتفق مترجمان في ترجمة نص ما وهنا يطرح سؤال مهم: هل الترجمة نوع من التحريف للنص يقف إزاءه المترجم عاجزاً؟ لا اعتقد ذلك ؛ لأنني أشبه الترجمة بالجسر الذي يربط بين ضفتين ، فإن كانت ثمة جودة أو عيب في هذا الجسر أو ذاك فلا دخل للضفتين في هذه الجودة أو العيب ؛ لإنهما ضفتان متكافئتان في المسافة ومنسوب المياه ، إذ لا توجد ـ بحسب اعتقادي ـ لغة أكثر أدبية وشاعرية من لغة أخرى على مستوى النص ، لكن يمكن أن تكون هذه اللغة أكثر عدداً بأدبائها من هذه اللغة، هذا من ناحية التفاضل في الكم ليس إلا .

يرى البعض أن المترجم ليس سوى ناقل للكلام المنجز غير ملتفت إلى ما يقوم به المترجم من عملية ترتيب للنظام اللغوي الوليد عن النص القديم ، فالترجمة ليست نقل ألفاظ إلى أخرى فحسب ، بل تكمن مهارة الترجمة في صياغة النظام اللغوي لهذه الألفاظ بحسب الأنساق النحوية والاشتقاقية والمصطلحية للغة المترجم إليها ، وهذا يرتبط كثيراً بالمهارة اللغوية ودقة الحدس لما هو مقصود في النص ضمن ساحة وعي المترجم ، الذي يرى هذا المعنى أو ذاك بحسب احتمالية النص، إن الترجمة انفتاح البشر على بعضهم البعض ، فنجد أن دول العالم المتحضر، ارتقت وتمدنت بسبب النهوض بالترجمة وإنشاء الجمعيات والمؤسسات لها ولا ننسى التجربة الناجحة في بداية العصر العباسي في إنشاء بيت الحكمة وما قام به من ترجمة لكتب: الطب والعلوم والفنون ؛ لذا نحن نحتاج اليوم إلى عشرات من بيوت الحكمة ، إذا علمنا أن هنالك تسابقا محموما في الوقت الحاضر بالمعرفة وإنتاج المعلومات والحصول عليها عن طريق الترجمة ، سواء كانت هذه المعلومات رقمية أم غير رقمية ، وللترجمة الدور الأبرز في تحصيل هذه المعلومات وهي (طازجة) كما يقولون ، وثمة دراسات قد أشارت إلى أن ما حصل من نهضة حضارية في بلد كماليزيا سببه الترجمة ؛ لأنها ترجمت أضعاف ما تنتجه من كتب ودراسات وبحوث ، بل وصل الأمر ببعض الدول أنها ترجمت أكثر من ٨٠ ٪ مما تصدره من كتب ، في مقابل هذا تظل الترجمة عندنا مع الأسف تقوم على ممارسات فردية ، غرضها في الغالب الحصول على أجرة إضافية تساعد المترجم على تحسين حاله المادي ، وحتى هذه الترجمات الفردية لا يمكن أن تغني من جوع ، لأنها لا تأتي ضمن خطة منهجية للترجمة ، فإذا كانت الأسطورة تشير إلى أن الناس كانوا يتكلمون لغة واحدة ، وبلبل الرب لسانهم في بابل ، فيجب أن نكون من أول الدول السباقة في توحيد هذه اللغات وجعلها لغة واحدة نقرأها عن طريق الترجمة .